فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "قصص الأنبياء"

قصة نبي الله يوسف (3)

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أحمد سيف الإسلام

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-115983.htm

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله عدد ما خلق، الحمد عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه، الحمد لله عدد كل شيء، الحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

قال النبي –صلّى الله عليه وسلم–: "ألا أخبرُكم بما يَمحو اللَّهُ بِهِ الخطايا، ويرفعُ بِهِ الدَّرجاتِ..." صححه الألباني، كلنا أصحاب معاصي وأصحاب خطايا، فدلَّنا النبي –صلّى الله عليه وسلم– على شيءٍ يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قال: "..إسباغُ الوضوءِ علَى المكارِهِ، وَكثرةُ الخُطا إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ، فذلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ"، فأخبرنا النبي –صلّى الله عليه وسلم– أن من جلس في بيتٍ من بيوت الله ينتظر الصلاة بعد الصلاة، فهو مرابط في سبيل الله.

وقال النبي –صلّى الله عليه وسلم–: "ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهم السَّكينةُ: وغَشِيَتْهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عندَه" صححه الألباني، وقال النبي –صلّى الله عليه وسلم–: "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ –عز وجل– إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قومُوا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ" حسَّن إسناده الألباني، وهذا بفضل الله لا يكون إلا في مجالس العلم ومجالس الذكر.

بقاء يوسف –عليه السلام– في السجن لأجلٍ غير مسمى

بدأنا منذ فترة مع قصص الأنبياء، وتوقفنا عند قصة الكريم بن الكريم بن الكريم بن الخليل يوسف –عليه السلام–، توقفنا عند يوسف –عليه السلام– مرَّ بدرجات وراء بعضها البعض فيها بلاءات شديدة:

مرَّ يوسف –عليه السلام– ببلاء أنه يُباع ويُشترى، وقَبله مرَّ ببلاء أنه كِيد له من إخوته وأقرب الناس إليه، ففقَد أمه وأباه، ثم مرَّ يوسف –عليه السلام– ببلاء مع امرأة العزيز وكيف أنها تراوده عن نفسه، وكيف أنها تتَّبع شهواتها، ثم أخيرًا مرَّ يوسف ببلاء دخول السجن.

سيدنا يوسف –عليه السلام– دخل السجن مظلومًا، مين اللي ظلمه؟ الحاكم أو العزيز وامرأة العزيز، ظلموه بإنهم أدخلوه السجن، قال الله –سبحانه وتعالى–: "ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" يوسف:35، سيدنا يوسف ماخدش قرار، يعني ماخدش عقوبة إنّ هو يتسجن 3 سنين، أو 5 سنين، أو 7 سنين، أو 20 سنة، أو 15 سنة، إنما قالوا: اسجنوه، فقط اسجنوه، إمتى؟ لحد إمتى؟ حتى حين، لما الناس تسكت؛ لإن ما ينفعش إنّ الناس تقول إنّ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، ما ينفعش الناس تقول أن هذه المرأة تراود فتاها أو تطلب من فتاها أو من عبدها البغاء، فقالوا: اسجنوه حتى حين، يعني حتى يتغير الكلام، وحتى يسود في الناس أنه لا أحد سيتكلم عن يوسف –عليه السلام– مرةً أخرى، ولا هيتكلم عن امرأة العزيز مرةً أخرى.

وطبعًا لما واحد يتسجن مش عارف هيطلع إمتى مختلفة تمامًا عن واحد بيتسجن وهو عارف إنّ هو هيطلع بعد 5 سنين، أو بعد 10 سنين، أو بعد 20 سنة؛ لأنه معاقب، سيدنا يوسف لم يدخل عقابًا إنما دخل توقيفًا، يعني حتى إيه؟ حتى يسكت الناس.

التحاكم لشرع الله هو العدل المطلق

"وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ" يوسف:36، شوفوا كيف إذا تحاكم الناس إلى الآراء والأهواء يسود الظلم، وكيف إذا تحاكم الناس إلى الشرع يسود العدل.

شوفوا المنظر ده، منظر إنّ همَّ عرفوا إنّ سيدنا يوسف بريء، يعني المرأة قدَّت قمصيه من إيه؟ من دبر، والشاهد شهد بذلك، والرجل تأكد أن المرأة هي التي راودت يوسف عن نفسه، وكل القرائن تدل على عفة يوسف، والمرأة نفسها اعترفت بذلك بعد ذلك، غير أنه حتى أنهم بعد ما رأوا الآيات على براءة يوسف –عليه السلام– سجنوه، وهذه شريعة الجاهلية، شريعة البغاء، أن يتحاكم الناس إلى آرائهم وإلى أفكارهم دون أن يتحاكموا إلى شرع الله وإلى عدل الله.

انظروا إلى عدل الله –سبحانه وتعالى– والنبي –صلّى الله عليه وسلم– على النقيض الآخر، عارفين قصة طُعمة بن أُبَيرق، ذلك الرجل، رجل من المسلمين سرق درعًا من الرجل الأنصاري اسمه: قتادة بن النعمان، طُعمة بن أبيرق سرق درع، ثم ذهب قتادة يقتفي أثر الدرع، فعلم أن السارق هنا في هذا المكان، فانطلق طعمة بن أبيرق ووضع الدرع عند اليهودي، عند رجل اسمه زيد يهودي.

شوفوا الفرق بين عدل الإسلام وبين هذه الشريعة التي سجنت يوسف –عليه السلام– بعدما رأوا الآيات على براءة يوسف –عليه السلام–، الرجل طعمة بن أبيرق وضع الدرع بعدما سرقه من قتادة في بيت اليهودي، اليهود أعداء

النبي –صلّى الله عليه وسلم–، اليهود يكفرون بالقرآن ويكفرون بالنبي –صلّى الله عليه وسلم–، اليهود يُسعِّرون الحرب على النبي –صلّى الله عليه وسلم–، ومع ذلك أنصفهم الله –عز وجل–.

الموقف كالآتي: أهل قتادة وقتادة راحوا يقولوا للنبي –صلّى الله عليه وسلم– الدرع بتاعنا اتسرق وإحنا بندور عليه، والرجل اللي سرقه كان مشى في دقيق، وأثر الدرع أو أثر الأقدام بتاعة السارق وصلت عند اليهودي، فأمر النبي –صلّى الله عليه وسلم– بتفتيش بيت اليهودي، وبالفعل فتّشوا بيت اليهودي لقوا الدرع موجود، القرائن والأدلة بتدل على أن الدرع سرقه اليهودي، الحقيقة إنّ السارق رجل من المسلمين، صحيح بعد كده ثبت أنه من المنافقين، لكنه رجل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

النبي –صلّى الله عليه وسلم– هَمَّ أن يحكم على اليهودي، فنزل قول الله –عز وجل–: "إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا" النساء 105:107.

فنزل قرآن يُتلى من فوق سبع سماوات؛ ليبرئ اليهودي، ويأمر النبي –صلّى الله عليه وسلم– أن يعاقب هذا المسلم السارق، الخائن، الغادر، الذي سرق الدرع من أخيه المسلم ثم تهمها في اليهودي.

فانظروا إلى هذا العدل وهذا الإنصاف، وانظروا إلى هذه الشريعة الأخرى عندما يتحاكم الناس إلى أهوائهم، عندما يتحاكمون إلى شرائع ليست من عند الله –سبحانه وتعالى–، قال الله –عز وجل–: "ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ"، بدا لهم! بدماغه كده إنّ فلان يتحبس فيتحبس!

رغم الظلم والابتلاءات .. لم يتخلَّ يوسف عن إحسانه

قال الله –عز وجل–: "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ"، صورة المشهد انتقلت إلى يوسف –عليه السلام– في السجن، يوسف الكريم بن الكريم بن الكريم بن الخليل، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، يوسف سليل الأنبياء، يوسف الشاب القوي الفتي، المؤمن الصالح المخلَص المحسِن، يذهب ليكون مع السجناء في وسط هؤلاء!

قال الله –عز وجل–: "وَدَخَلَ مَعَهُ" أي: في زمن دخول يوسف –عليه السلام– دخل أيضًا فتيان، فتيان يعني: شابان صغيران، "قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" يوسف:36، لماذا قالوا: إنا نراك من المحسنين؟ الشابين بصوا كده على يوسف –عليه السلام–، قعدوا معاه أيام، وجدوا أنه رجل شديد العبادة، مجتهد في طاعة الله، مجتهد في فعل الخيرات.

وهنا لنا وقفة مع نفسية الأنبياء، إزاي إنّ الإنسان يعاني من ظلم شديد جدًّا: إنّ هو يكيد له إخوته، ثم يُباع ويُشترى، ثم يتعرض لهذا البلاء في قصر امرأة العزيز، ثم يدخل السجن، ومع ذلك هو يسارع في الخيرات، ومع ذلك هو لم يكره المجتمع، ولم يتحول إلى رجل كاره لنفسه، رجل بغيض يكره كل أحد، إنما هو مع كل ذلك يسارع في الخيرات، يُحسن إلى الناس، يجتهد في عبادة الله وطاعة الله، حتى أن الناس رأوه فقالوا: إنا نراك من المحسنين، واحد بيقول له: والله أنا شايفك إنّ إنت راجل من المحسنين.

طيب هو عرف منين إنّ يوسف من المحسنين؟ قالوا: لَمَّا ظهر على سَمته، وعبادته، وحسن خلقه، وخدمته لهؤلاء، وهو في السجن يخدم السجناء، وهو في السجن يُحسن إلى الناس، لذلك قص الله –سبحانه وتعالى– قصة يوسف –عليه السلام–، قصها لنا؛ لنعتبر.

رؤيا الفتية

الشابين دول شافوا في يوسف –عليه السلام– أنه محسن، والناس دايمًا لما بتشوف واحد من المحسنين أو بتشوف واحد عليه علامات صلاح تبدأ تعمل إيه؟ تبدأ تلجأ إليه، تبدأ تتمسَّح، تبدأ تُغالي.

الناس دي شافوا رؤيا، الاتنين شافوا رؤيا في نفس الوقت، أحدهما رأى إنه بيعصر عنب، قاعد جايب عنب وقاعد بيعصره وبيطلّع خمر، قال: "إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا" يعني أعصر العنب فيصبح خمرًا، ده مقدَّم محذوف، فقالوا أنهم كانوا يسمون العنب خمرًا، بيعصر العنب علشان يبقى خمر.

والتاني بيقول: أنا شفت إنّ أنا شايل سلة، السلة دي بييجوا الطيور تأكل منها، "وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ"، شفت إنّ أنا شايل فوق رأسي سلة فيها خبز، والطيور بتيجي تعمل ايه؟ تأكل الخبز، يا ترى الحلم ده معناه إيه؟ نبئنا بتأويله.

كيف تكون وسيلة الطلب؟

"نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ" دايمًا لما تيجي تطلب من واحد حاجة، يعني لعلنا نتعلم من كلام الله –سبحانه وتعالى– في كتابه الكريم وسيلة الطلب، إنّ واحد لما ييجي يطلب من واحد حاجة يقدِّم الصفة الطيبة في هذا الرجل بما هو حق.

يعني لما تيجي تقول لواحد إديني تقول له: والله إنت راجل كريم، أعطني، لما تيجي تطلب من واحد مسألة تقول له: والله أنا عارف إنك إنت مابتردش سائل، فأطلب منك كذا، لما بتيجي تشفع عند واحد تقول له: والله عارف إنّ إنت رجل من المحسنين مش هتكسفني، فأنا بشفع في إنّ فلان مثلًا ياخد مكان كذا، أو يتعين في كذا، أو إنّ هو يُعيَّن في كذا، أو ما إلى ذلك أيًّا كانت الشفاعة.

الشاهد أن هؤلاء لما أرادوا إنّ يوسف –عليه السلام– يعبِّر لهم الرؤيا، يعني ايه يعبِّر لهم الرؤيا؟ يفسر لهم الرؤيا، قالوا له: "إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"، عرفوا منين إنّ هو محسن؟ من حسن عبادته وحسن خلقه.

الفرق بين الكريم واللئيم

ولنا وقفة، يقولوا يا جماعة يعني إيه كريم؟ يعني إيه فلان كريم؟ يقولوا: كريم عكس لئيم، صح كده؟ إن أنت أكرمت الكريم ملكته، وإن أنت أكرمت اللئيم تمرد، يقولوا: يعني إيه لئيم؟ يعني فلان عنده عدة صفات ملتئمة ببعضها البعض، يعني عنده شوية صدق وشوية كذب، فالصدق بيطلع أحيانًا والكذب بيطلع أحيانًا، عنده شوية أمانة وشوية خيانة، فالأمانة تطلع أحيانًا والخيانة تطلع أحيانًا، لما يبقى ضعيف تلاقيه إيه؟ مسكين كده وغلبان وطيِّب، يقولوا يتمَسكن لحد ما يتمكن، يبقى إيه؟ اتقلب بقى لئيم، يتقلب إنه جبار متجبر متكبر على الناس، يقولوا: مش ده كان غلبان وطيِّب قبل ما يمسك منصب، أو قبل ما يمسك فلوس، أو قبل ما يرتقي في الدرجة التي أرادها؟! يقولوا له: أصل فلان ده كان إيه؟ ما كانش الأمانة والصدق والمعاملة الحسنة دي ما كنتش كريمة، كانت لئيمة.

علشان كده بيقولوا الحجر اسمه حجر كريم، يعني حجر خالص، يعني من نوع واحد، يعني مش حجر فيه أخلاط، إنما الأحجار الكريمة بتلاقيها كلها معدن واحد، أو صَبَّة واحدة من مادة واحدة.

يوسف –عليه السلام– كريم، إنّ معدنه لما وُضع في الجُبّ كان من المحسنين، ولما وُضع في قصر امرأة العزيز كان من المحسنين، ولما بِيع عبدًا كان من المحسنين، ولما أصبح بعد ذلك عزيز مصر أيضًا كان من المحسنين، إنّ البني آدم لا يتغير، لا تتغير أخلاقه.

لما النبي –صلّى الله عليه وسلم– دخل مكة وهو منتصر، قال: ما تظنوني فيكم؟ أنا عايزك بس تتخيل إنّ النبي –عليه الصلاة والسلام– في أول الدعوة كانوا بيظنوه الصادق الأمين قبل البعثة، ثم بعد ذلك لما سُئلوا عنه قالوا: شاعر، وكذاب، ومجنون، وساحر، وكاهن، عندك حاجات كتيرة قوي، ثم بعد ذلك انتصر النبي –صلّى الله عليه وسلم–، فلما انتصر قال لهم: ما تظنوني فيكم؟ هو أنا دلوقتي بقيت عندكم إيه؟ فقالوا: أخٌ كريم بن أخٍ كريم، ياه ده إنت طول عمرك كريم، النبي –صلّى الله عليه وسلم– حقيقةً فعلًا كريم، فقال النبي –صلّى الله عليه وسلم–: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

كان ممكن يقول لهم: دلوقتي بقيت كريم؟! مش أنا كنت مذمَّم ومجنون وكاهن وشاعر؟ إنما هو أصله كريم لا ينتصر لنفسه، فلم تُغريه الدنيا، ولم تغيره زحمة الأحداث، ولم تغيره مواقف الحياة، إنما ظل على أخلاقه التي رباه الله –سبحانه وتعالى– عليها.

استغل حاجة الناس إليك؛ لكي تدعوهم إلى الله

فقال يوسف –عليه السلام–: "لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي" يوسف:37، سيدنا يوسف لما سألوه عمل إيه؟ عمل حاجه غريبة جدًّا، لما تُظلم وما عادش قُدَّامك غير جدران وحيطان، مفيش قُدَّامك غير سجن من كل ناحية، يعمل إيه؟ ايه اللي ينبغي على الداعي؟ النبي –صلّى الله عليه وسلم– لما يكون في شِعب أبي طالب محاصَر يعمل إيه؟ سيدنا يوسف استغل حاجة الناس إليه، إلى علمه؛ ليدل الناس على الله.

وهكذا ينبغي على كل صاحب ثغر في دين الله أن يدل الناس على الله، الناس اللي فاتحة جمعيات خيرية، أو اللي بتعمل أعمال طبية، أو أعمال خدمية للناس، ينبغي أن يدل الناس على الله، فأهل الإسلام أصحاب رسالة، إنت مش وظيفتك فقط إنك إنت تُطعم الناس، إنما وظيفتك إنك إنت تعلِّم الناس أن ذلك من فضل الله عليك.

المعلم، والطبيب، والمهندس، والمزارع، والقائم على زكاة الناس، والقائم على القضاء في حوائج المسلمين، والقاضي على الفصل بين الناس ينبغي عليه أن يدل الناس على الله.

سيدنا يوسف مجرد إنّ همَّ احتاجوله موقف واحد بس لم يسكت إنما انطلق يوسف –عليه السلام– داعيًا إلى ربه، سيدنا يوسف قسّم الجولة الدعوية، أو البيان الدعوي، أو الموقف الدعوي، أو كلمته وخطبته على الناس، أول حاجة قال لهم: ما تقلقوش الكلام اللي إنتم سألتوني فيه ده هجاوبهولكم.

أسلوب الإبهار في الدعوة

وكانوا على خلاف بقى في التفسير "لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ"، بيقولوا إنّ كان مواعيد الأكل، حال السجناء عمومًا، السجين بيجيله الأكل في مواعيد، فقال لهم مش هتيجي الوجبة الجاية إلا لما يكون جوابكم أُجيب، فطمّنهم بدايةً على إنّ هو هيجاوبهم.

وقيل أنه أبهرهم، عارفين فيه حاجة في الدعوة كده اسمها الإبهار، إنّ أحيانًا الناس لما ييجوا يتكلموا في الدين، أهل الدنيا أو أهل المعاصي دايمًا بيبقى متخيل إنّ بتاع الدين ده قاعد فاضي ما وراهوش حاجة، مش لاقي حاجة يعملها، فيقول لك: أصل أنا هعتكف في المسجد في العشر الأواخر ليه؟ أصل أنا مش فاضي، هو يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– كان فاضي؟ أكيد ما كانش فاضي، يقول لك: أصل الناس اللي بتقعد تحضر الدرس دي ناس فاضية، لا دي ناس مضحية، دي ناس تريد وجه الله، أصل اللي قاعد يحفظ القرآن يا عم يروح يشوفله أي دورة ياخدها يجيب بيها شهادة ينفع يشتغل بيها في الدنيا، يقول له: ما دي شهادة هتنفعه يوم القيامة.

سيدنا سليمان استعمل هذا الأسلوب أسلوب الإبهار في الدعوة إلى الله، إنّ هو قال لهم: أنا أعلى منكم، يعني لو إنت بتتكلم على الدنيا يا ابني إنت ما عندكش دنيا أصلًا.

وهذا من المسائل الدعوية إنّ سيدنا سليمان قال: "أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" يوسف:38، هي الست عندها عرش وعندها مُلك عظيم، ملكة سبأ، وهو يريد أن يدعوها، قال لهم: هاتولي العرش ده، فلما دخلت ورأت العرش "قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ" النمل:42، إيه ده؟ ده بتاعنا؟!

وبعد كده سيدنا سليمان بنى صرح، الصرح ده فيه لؤلؤ، هي لما شافته حسبته بحر، أو حسبته إيه؟ حسبته ماء، فكشفت عن ساقيها، "فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ" يوسف:44، قال لها: ده شوية إزاز، "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ" يوسف:44، خلاص هي ما اتكلمتش أصلًا.

وكذلك النبي –صلّى الله عليه وسلم– في الحديبية لما كان بيعمل معاهدة مع الكفار وبعتوله واحد صاحب قوة وعتاد وسلاح، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– عمل إيه؟ قال: صُفُّوا الجيش، فالرجل دخل لقى جيش منظم تنظيم عجيب، فالرجل أراد إنه يختبر أصحاب النبي –صلّى الله عليه وسلم–، فأصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– أبهروه، بيقولوا: والله ما نراك إلا معك مجموعة من الأوباش لم يلبثوا أن يتركوك، قالوا: إنتَ معاك شوية ناس رِعاع ممكن يسيبوك في أي لحظة، الصحابة عملوا حاجة مبهرة جدًّا، عملوا موقف غريب جدًّا أبهر هذا الرجل في قوة ارتباط أصحاب النبي –صلّى الله عليه وسلم– بالنبي.

هو رجع بقى يقول: والله دخلتُ على كسرى وقيصر وعلى الملوك فما رأيت أحدًا يعظِّمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا، والله ما تنخَّم نُخامة ولا بصق إلا سقطت في يد أحدهم فدلَّك بها وجهه، ولا توضأ إلا اقتتلوا على وضوئه.

الكلام ده على فكره الصحابة ما كانوش بيعملوه أصلًا، لكن عملوه في الموقف ده؛ إبهارًا لهذا الرجل، إنّ إنت بتقول إن إحنا هنسيبه!! هنسيبه إيه ده بيقتتلوا على الماء اللي بينزل من وضوء النبي –صلّى الله عليه وسلم–؛ حرصًا منهم على إبراز هذه الصفة أنهم لن يتركوه أبدًا.

أيضًا لما دخل رجل صاحب عبادة، فقال النبي –صلّى الله عليه وسلم–: سوقوا الهدي، واحد كان صاحب عبادة قوي وكان مَدخله العبادة، فاستعمل النبي –صلّى الله عليه وسلم– أسلوب الإبهار، إنّ هو قال إيه؟ قال: سوقوا الهدي، يعني هاتوا الغنم والإبل وكل واحد يقف يصلي، الراجل لما راح قال لقريش: كيف تمنعون محمدًا من الطواف بالبيت؟! إنهم ما جاءوا إلا رغبةً فيما عند الله، إنتم بتمنعوهم ليه؟ سيبوهم يعبدوا ربنا.

الشاهد سيدنا يوسف –عليه السلام– على القول الثاني أنه قال: "لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ" بيقول لهم: أنا أي حاجة هتسألوا عليها هقول لكم عليها، ده كده بيقول لهم: الرؤيا بس؟! أنا ممكن أقول لكم غير الرؤيا كمان، هقول لكم إنتم هتاكلوا إيه أصلًا قبل أن يأتيكما.

دعوة سيدنا يوسف إلى ربه

ثم وكَّل الأمر إلى الله قال: "ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" يوسف:37، سيدنا يوسف انطلق بعدما أبهرهم وبعد استغلال حاجتهم إليه في أن يدلهم على الله –سبحانه وتعالى–، أن كل صاحب نعمة ينبغي أن يستعملها في طاعة الله، اللي معاه فلوس يستعمل الفلوس دي عشان إيه؟ يدل الناس على الله، اللي عنده قوة يستعمل هذه القوة في أن يدل الناس على الله، اللي عنده علم يستعمل هذا العلم في أن يدل الناس على الله، اللي عنده محل يستعمل هذا المحل في أن يدل الناس على الله، كلٌّ على قدره.

سيدنا يوسف –عليه السلام– قبل ما يتكلم معاهم في الدعوة قال لهم أنا مين، وقال لهم حاجتين مهمين قوي في الدين، قال لهم: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ" يوسف:37، أول حاجة قال لهم: أنا سِبت ملة قوم، أنا تركت ملة هؤلاء، القوم، دول بيعملوا إيه؟ "لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ"، يبقى الإيمان بالله واليوم الآخر، إنّ قال لهم أنا عندي مشكلة في الإيمان بالله واليوم الآخر، إنّ إنتم لا تؤمنون بالله واليوم الآخر.

الناس اللي بيكلموه دول اللي عايزين يأوّلوا رؤيا دول وضعهم إيه؟ يعني وضعهم إسلاميًّا إيه؟ مسلمين؟ كانوا بيعبدوا إيه؟ لأ ما كانوش بيعبدوا الأصنام، كانوا بيعبدوا ربهم اللي هو الملك، كانوا بيعبدوا شخص من دون الله، وكان هذا الرجل يشرِّع لهم من دون الله، وكانوا يسجدون له، ويأتمرون بأمره، يُحل لهم ويحرم عليهم ما أراد.

فسيدنا يوسف –عليه السلام– قبل ما يقول لهم على الرؤيا قال لهم: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" فعرَّفهم عن الله وعرفهم عن الدار الآخرة، ثم قال: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" يوسف:38، قبل ما يتكلم دايمًا يقول يا جماعة اترك وانطلق، تركتُ واتبعتُ.

اترك واتَّبع

يعني لو واحد قرر إنّ هو يترك فقط الفساد، هو كده هينجو؟ لأ، لابد إنّ هو يتَّبع الحق، يعني واحد يقول لك: والله أنا سِبت أصحابي الوحشين السيئين اللي همَّ بتوع المخدرات وبتوع الفواحش، طيب وبعدين؟ قعدت في بيتنا، مش هتنجو، مش هتكمل، لابد إنك إنت تتَّبع، اتبع الصالحين.

قال: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ"، "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ" وده دليل على إنّ الجد أب.

تذكَّر فضل الله عليك في كل حالاتك

"وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"

هو ايه اللي من فضل الله علينا وعلى الناس؟ آه الإيمان، يعني فضل الله –سبحانه وتعالى– إنه مَنّ علينا إننا ملمومين في المسجد بنتدارس آيات الله –سبحانه وتعالى–، فضل الله علينا إنّ احنا بنتعلم عن الله، فضل الله علينا إنّ احنا بنتكلم عن الله، فضل الله علينا إنّ احنا بنذكر الله في وقت الناس فيه يبتعدون عن ربهم، الناس فيه يعصون ربهم، أو الناس فيه بعضهم في غفلة عن ذكر الله –سبحانه وتعالى–، فده فضل من الله –سبحانه وتعالى– علينا، فضل من الله –سبحانه وتعالى– أننا وُلدنا مسلمين، فضل من الله علينا إنّ احنا من أتباع النبي –صلّى الله عليه وسلم–، فضل من الله علينا إنّ احنا عرب نقرأ القرآن، فيه ناس لا تستطيع أن تقرأ القرآن.

سيدنا يوسف بيذكر هذا الفضل وهو داخل السجن، ويتلقى النبي –صلّى الله عليه وسلم– هذه المعاني في مكة وهو يُعذَّب أو يعذَّب أصحابه ويُضيَّق عليهم؛ حتى يذكر النبي –صلّى الله عليه وسلم– فضل الله –سبحانه وتعالى– عليه، أن الله –سبحانه وتعالى– امتنَّ عليك، حتى لو إنت في بلاء، حتى لو إنت في شدة، سيدنا يوسف وهو في الشدة بيقول: "ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا".

الابتلاء يُظهر حقيقة إيمان العبد

التعامل في المستشفيات يريك آيات، قريبًا كان عندنا مريض، فأدَّى به المرض، أو ابتلاه الله –سبحانه وتعالى– بمرض بُترت ساقه، وكان قبل العملية في منتهى الحلم والهدوء والسكينة، ثم بعد إجراء الجراحة تحوَّل إلى وحشٍ كاسر، حتى إنّ أهله تركوه قالوا مش عارفين ده بيقول كلام صعب قوي، ليه يا رب تعمل فيَّ كده؟ أنا يتعمل فيَّ كده، ثم تجد سخط غريب، يا حاج إنت هتركب جهاز وتمشي عادي، الناس ماشية بالأجهزة دلوقتي وبتمارس حياتها طبيعي.

وسبحان الله إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه، وإن الله –سبحانه وتعالى– إذا أراد بعبدٍ خيرًا عجَّل له العقوبة في الدنيا، وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى المرء على قدر دينه، وإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبَّره على ذلك حتى يبلغ المنزلة التي سبقت له من الله تعالى، والأنبياء كلهم ابتلوا وكل الصالحين كذلك، وإحنا جئنا نعيش للآخرة، دائمًا المرض يُظهر ما في داخل القلب من رضا أو سخط، دايمًا البلاء يُظهر ذلك.

يقولوا: هو ليه سيدنا يوسف –عليه السلام– نبَّأهم بذلك أولًا، يقول لك: بدايةً إنّ يوسف –عليه السلام– رأى أن أحدهما سيُقتل، هو أوَّل الرؤيا لنفسه وفهم إن الرجل ده سيُقتل فأراد أن يعلِّمه عن الآخرة؛ لإن هو عارف إنّ حياته خلاص خلصت، الرؤيا دي هتتم والرجل ده حياته هتنتهي، هيموت، لذلك أراد أن يعلق قلبه بالآخرة.

وقيل: لأ هو أصلًا يدعو إلى الله، ومن تمام الدعوة إلى الله بل من أصول الدعوة إلى الله أن يتذكر الإنسان نعم الله عليه، إنك تذْكر إنت نعمة ربنا عليك.

إنّ يوسف –عليه السلام– وهو في السجن وهو يخرج من بلاءٍ إلى بلاء، من أن يُبعَد ويترك أبوه وأمه، ثم يُباع ويُشترى، ثم في قصر العزيز مع الشهوات، ثم يدخل مظلومًا إلى السجن ولأجل غير مسمى، يعني هو مش عارف هو هيطلع من السجن إمتى، مش عارف هياخد سنة ولا اتنين ولا خمسة، حتى حين، لما يبقى الباشا رأيه يتغير ويطلّعه، يعني هو أصلًا مش عارف هو هيخرج إمتى، ومع ذلك هو يذكر فضل الله –سبحانه وتعالى–، ويذكر نعم الله – سبحانه وتعالى–، ويُحسن إلى الناس، ويَحسن خلقه مع الناس، ويذكر فضل الله، ويذكر توحيد الله.

فما هذه النفسيات الجميلة! وما هذا الإحسان في المعاملة! وما حسن الظن بالله ذاك!

أحيانًا لما الإنسان يُبتلى يقول: هو ربنا أصلًا مش عايزني، أنا حاولت وما نفعش، أنا أصلًا مش نافع، وتجد بقى كمية من سوء الظن غريبة جدًّا، يوسف –عليه السلام– في كل هذه البلاءات وهو مَن هو..

يعني أحيانًا لما البلاء بينزل بواحد، ارحموا عزيز قومٍ ذَل، إنّ دايمًا العزيز غير لما يكون واحد عادي في وسط القوم، دايمًا لما بيكون واحد له مكانه أو مثلًا غني وافتقر غير لما يكون واحد عادي افتقر، يعني لو واحد اجتاحته جائحة أو نزل به بلاء وافتقر وخسر فلوسه في صفقة من الصفقات غير لما يكون غني وافتقر، دي بالنسبة له صعبة، ليه؟ لإنه جرَّب إنّ هو يكون اليد العليا، جرَّب إنّ هو اللي بيعطي، جرَّب إن هو يكون مُطاع، جرَّب إن هو يكون صاحب كلمة على الناس، ثم بعد ذلك الآن أصبح فقيرًا.

قال يوسف –عليه السلام–: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ" أي: أن الله –سبحانه وتعالى– امتنَّ علينا بأن نعبده، وأن نوحده، وأن نعرفه "وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ".

اللين في الدعوة حتى مع الكافر

ثم بدأ يوسف –عليه السلام– يوضح لهم ما يعنيهم، قال "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ" يوسف:39، أحيانًا لما تلاقي واحد، تخيل كده واحد مسلم بيقابل واحد كافر بيكلمه يقول له إيه؟ خد يله يا كافر يله؟! سيدنا يوسف بيقول لهم إيه؟

"يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ" بيقول له: يا عم ده إحنا رفقاء مع بعض في السجن.

انظروا إلى هذا اللين في معاملة المدعوين الكفار حتى، يعني هؤلاء لا يؤمنون أصلًا لا بالله، ولا باليوم الآخر، ولا بالأنبياء، ولا يؤمنون بيعقوب ولا بإسحاق ولا بإبراهيم أصلًا، ومع ذلك يوسف –عليه السلام– يُلين لهم القول.

ربنا –سبحانه وتعالى– لما أرسل موسى –عليه السلام– قال: "اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا" طه 44:43، مع إنه طغى، عارفين يعني إيه طغى؟ الطغيان هو مجاوزة الحدود، يعني كَثُر فساده وكَثُر ظلمه، فرعون يا جماعة عمل حاجة محدش عملها في التاريخ، يعني لم يدَّعي أحد ما ادَّعاه فرعون، فرعون قال: ما علمت لكم من إلهٍ غيري، وبعد كده قال: أنا ربكم الأعلى، يعني ادَّعى الألوهية والربوبية، ده حاجة غريبة جدًّا، يعني الشيطان نفسه ما عرفش يعملها، يعني لم يجرؤ أحد على مر التاريخ إنّ هو يعمل ده، ومع ذلك ربنا أرسل إليه موسى –عليه السلام– قال: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَو يَخْشَىٰ".

يجب أن نعبد الله كما أمرنا أن نعبده

قال: "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"، سيدنا يوسف قال لهم: ما تعبدون؟ إنتم بتعبدوا مين؟ مرة ييجي الملك فلان، ومرة ييجي الملك عِلّان، الملك فلان مرة كبير، والملك فلان مرة صغير، الملك فلان مرة يقول كلام، وبعد كده ييجي الملك فلان يغيَّر التشريع ويغيَّر قانون التحاكم إليه، قال: "أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ".

وتتعجب لم يقل يوسف –عليه السلام– ءآلهة متفرقون خير، قال: "أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"، يعني يوسف –عليه السلام– أنكر عليهم أنهم يعتقدوا أن هناك من يخلق مع الله، وأن هناك من يرزق مع الله، وأن هناك من يدبر الأمر مع الله، الرب يا جماعة اللي هو الخالق، المالك، المدبر، الرزاق، فبيقول لهم: يعني إنت ينفع تصلي لمين؟ مش هينفع تصلي إلا لله، ليه؟ لأنه لا خالق إلا الله، لا مدبر إلا الله، لا رزاق إلا الله.

فيه ناس بتعتقد أن الله رب واحد، يقول لك حقيقي: لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر للأمر إلا الله، فلما ييجي يعبد بقى يقول لك: أنا بعبد ربنا وممكن أعبد مع ربنا حد يقربني إلى الله.

زي اللي بيتوسل بالأضرحة والموتى والقبور ويقول لك: أصل دي بتقربني إلى الله زلفى، يعني أنا عارف إنّ هي ما بتنفعش وما بتضرش، عارف إنّ اللي بيخلق الله، ومع ذلك أنا بتقرَّب إلى الله بهذه الأشياء، فهو هنا وحَّد الله ربًّا ولم يوحده إلهًا، يعني أثبت أن الله ربًّا واحدًا، لكنه لما جه في العبادة بقى بيدعي ربنا وبيدعي إيه؟ غير ربنا.

يقول لك: يا حسين اشفيني، حسين مين اللي هيشفيك! لا يشفي إلا الله، ولا يُدعى إلا الله، يقول له: يا بدوي خلي ربنا يعمل لي كذا، سايق عليك مش عارف ايه، يعني واحد كان ماشي بيقول والنبي يا رب، إنتَ بتقول ايه يا عم إنت؟! حاجة غريبة جدًّا إنّ هو بيتقرب إلى الله ليس بما أراده الله –سبحانه وتعالى–، لا يعبد الله بما ينبغي أن يُعبد الله –سبحانه وتعالى– به، الله –سبحانه وتعالى– أمرنا لأنه هو الخالق الحق أنه لا يُعبد سواه، وحدد الله –سبحانه وتعالى– كيف نعبده.

الله –سبحانه وتعالى– هو القاهر فوق عباده

يوسف –عليه السلام– قال: "أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"، يا جماعة الله واحد، لا إله إلا إله واحد، المؤذن لما بيقول: أشهد أن لا إله إلا الله تقف إنّ كل ما في الكون عبيد عند الله، والله واحدٌ قهار.

يعني إيه قهار؟ يعني يغلب كل ما سواه، بيقولوا: إذا كانت هناك قوة وهناك قوة فإنه بينهما مصادمة، فإذا غلبت قوة أخرى فإنها مغالَبة، فإذا انتصرت قوة فإنها عزة، فإذا قهرتها فإنها قَهر، القهر اللي هو أعلى أنواع الغلبة، يعني "وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ" ص:23، يعني غلبني في الخطاب، يعني فيه قوة بتقاتل بس إيه؟ بس الله العزيز الذي لا يُغلب ولا يُغالَب، الله القهار.

يعني الله –سبحانه وتعالى– مش القهار عباده، لأ، القاهر فوق عباده، يعني مش ربنا –سبحانه وتعالى– بيأمرك إنك تفعل الشيء وهتفعله كيفما أراد الله، فما من أحدٍ يتخلف عن أمر الله –سبحانه وتعالى– مطلقًا، يعني الله إذا أراد شيئًا إنما يقول كُن، مفيش إرادة تغالب أصلًا إرادة الله.

لأ لأ ده هو القاهر فوق عباده، ده المسألة أصلًا مفيش فيها أي مساحة من مساحات المقارنة بين الله –سبحانه وتعالى– وبين عباده، عباد الله –سبحانه وتعالى– أنا بتكلم بقى من أول الملائكة وإنت نازل، يعني أنا بكلمك عن العبيد الكل عند الله عبيد، يعني جبريل –عليه السلام– مقهور، من أول الملائكة وإنت نازل حتى أصغر ذرة من ذرات الكون الكل عبيد عند الله، هو القاهر وحده لا شريك له.

هل يستويان؟؟

"أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ" طيب لما إنت بتعبد إله بالله عليك تعبد إله لا يقدر على شيء، وكل واحد فيهم يقعد شوية ويموت واحد ييجي واحد تاني، ولا تعبد الله الواحد القهار؟!! نقول له: فكّر، يعني دعوة للتفكر للتأمل.

"ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا" الزمر:29، تخيل كده واحد عبد عند عشرين واحد، الإغريق زمان يا جماعة يقولوا إيه حتى عملوها مسلسل أو فيديو، إله الحب، وإله المطر،

وإله مش عارف الموت، وإله الزرع، كل واحد بيعمل حاجة، فالرجل اللي عايز زرع يروح لمين؟ لإله الزرع، اللي عايز يحب يروح لمين؟ لإله الحب، اللي عايز يموت يروح لمين؟ لإله الموت!

"ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا"، بعقلك كده ده يستوي مع ده؟ إنت تحب لما تسجد تسجد لمين؟ لما تحب تطيع تطيع مين؟ لما تحب تتوكل تتوكل على مين؟ لما تحب تسأل تسأل مين؟

إنت كل يوم بتصلي وبتركع بتركع لمين؟ إنك تبقى عارف إنّ إنت اللي بتركعله ده يقهر كل من سواه، فإنت بالنسبة لك لما تيجي تدعي تبقى عارف إنّ مفيش حاجة صعبة عند ربنا، ليه؟ كل خزائن السماوات والأرض بيد الله –سبحانه وتعالى–، مفاتيح الخزائن ومقاليد السماوات والأرض بيد الله –سبحانه وتعالى–، مصائر العباد بيد الله –سبحانه وتعالى–، أرزاق العباد بيد الله –سبحانه وتعالى–، فلما بتدعي إله أنت تعلم أنه إله يقدر حقيقةً على كل شيء.

"أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"، سيدنا يوسف استعمل معهم الخطاب العقلي، ثم قال: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم" يوسف:40، يقولوا هو إيه "أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم"؟ واحد جاب شوية بصل وقشرهم، وقام حاطط قشر البصل قدامه وقام كاتب على الطبق لحمة، وقعد ياكل، فواحد قال له: بتأكل إيه؟ باكل لحمة، هو بياكل دلوقتي قشر بصل ولا بياكل لحمة؟ قشر بصل حقيقةً، أومّال اللحمة دي إيه؟ اسم، بس المسمى مختلف.

فهو ده بالضبط اللي حصل إنّ همَّ جاءوا بأفراد لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، لا يقدرون على شيء مما كسبوا، كَلٌّ على مولاه، واحد لا يملك لنفسه حياة أصلًا، يعني هو نفسه ما يعرفش يضر نفسه، ما يعرفش هو نفسه يعيش، لا يملك لنفسه مستقبله لحظة، ثم مع ذلك قال لك ده إله، وده يشرّع لنا، ده اللي هنتحاكم إلى رأيه هو والملأ بتوعه، هو وأصحابه!!

الدين ليس صلاةً وصومًا فقط .. إنما حاكمية الله على كونه

فسيدنا يوسف عتب عليهم ذلك قال: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" يوسف:40، وتتعجب لماذا يذكر يوسف قضية الحكم في أثناء دعوته لهؤلاء؟ أن الإله هو الذي يحكم، إنّ الدين ماهواش صلاة وصوم بس، إنّ الدين هو حاكمية الله –سبحانه وتعالى– على كونه، إنّ الإنسان يعلم أن للكون إله يحكمه، يأمر فيه وينهاه، ويقدّر فيه المقادير، ويشرّع فيه شرائع، فلا ينبغي لأحد أن يقول أنه متدينًا أو يفهم عن الله ثم هو لا يعلم حاكمية الله في كونه سواء قدَرًا أو شرعًا.

علشان كده في آخر الآيات بيقول إيه؟ قال: "وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" يوسف:40، الأولانية قال: لا يشكرون، في دي قال إيه؟ لا يعلمون، إنه أكثر الناس مش رابط ما بين الدين وحاكمية الله –سبحانه وتعالى– على الأرض، مش رابط ما بين الدين وشرائع الله –سبحانه وتعالى–، كثيرٌ من الناس يقول لك: الدين دي العلاقة الخاصة اللي بيني وبين ربنا، صحيح هذه العلاقة الخاصة ينبسط منها أوامر شرعية، يقول: الدين المعاملة، يقول له صح ايه بقى المعاملة؟ بدايةً معاملة الله، ثم معاملة النفس، ثم معاملة الخلق.

إنّ الإنسان ينبغي إنّ هو لما يتعلم عن ربه يعلم من هو الله، يعلم كيف يتعامل مع الله، إن الله له أحكام، الله يقول لك ما تزنيش، ليه يا رب؟ لأن الله إله ولأنني عبد، لا تشرب الخمر، ليه يا رب؟ لأن الله إله يشرّع ما شاء كيف شاء، وأنت عبد عليك أن تسمع وتطيع لله –سبحانه وتعالى– الواحد القهار، إنّ الله –سبحانه وتعالى– بيأمر بالعدل، ليه يارب؟

التحاكم إلى الأهواء إيذانٌ بالهلاك

التانيين على فكرة بتوع حاكم سيدنا يوسف ده عنده معايير، هنشوف بعد كده إنّ هو قال له: "اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" يوسف:55، كان في دي كويس قال له ماشي، كان عنده معايير في نجاح الدنيا، لكنه لما تعارض الملأ مع مظلوم قال لك يعني امرأة العزيز تطلع غلطانة ولا العبد يطلع غلطان؟ لأ امرأة العزيز طبعًا ما تطلعش غلطانة، أومّال مين اللي يطلع غلطان؟ يوسف ويُلقى في السجن.

النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "إِنَّما أَهْلكَ الذينَ من قَبْلِكُم، إِنَّهُمْ كَانُوا إذا سرقَ فيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سرقَ فيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عليهِ الحَدَّ" صححه الألباني، إنّ القانون للضعفاء، قانون للفقراء، قانون للمساكين، قانون لمن ليسوا أصحاب هيئة، لكن صاحب منصب، أو صاحب هيئة، أو صاحب معارف، أو صاحب سلطة، أو صاحب ملأ، أو صاحب مال ده ملوش أصلًا دعوة بالكلام ده خالص.

النبي –صلّى الله عليه وسلم– قال هذا إيذانٌ بالهلاك؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– يُقيم العدل ويحب العدل، ويكره الظلم ويقسم الظلمة حتى لو كانوا مسلمين، فالله يقيم العدل للكافرين، ولا يقيم الظلم للمسلمين.

علشان كده شيخ الإسلام كان بيقول: "إن الله يقيم دولة العدل ولو كانت كافرة، ويمحق دولة الظلم ولو كانت مسلمة"، والمتدبر في سقوط الأمم وقيام الأمم يعرف أن الله –سبحانه وتعالى– يقيم أصحاب العدل.

احذروا الشبهات .. وإلا فنتيجتها مرض القلب

الشاهد هؤلاء عبدوا من دون الله آلهة، همَّ عبدوهم يعني عملوا إيه؟ يعني صرفوا لهم أوجه العبادة، يعني عملوا إيه؟ يعني تحاكموا إليهم، إيه علاقة الحُكم بالألوهية والعبادة؟ أن الإنسان إذا قال أنه لا إله إلا الله عَلِم أنه لا حَكَم إلا الله –سبحانه وتعالى–، قال: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ"، الإنسان إذا فهم ده بقى عنده قيم، وإذا ما فهمش ده يبقى ايه؟ في دينه رقة.

قال: "ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، إنّ الدين قَيِّم، هو ديننا دين قِيَم يا جماعة؟ إحنا عندنا قيم؟ كل ديننا قَيِّم، يعني له قِيمة عالية، كل مبادئ الدين قَيِّمة، وكل شرائع الدين قَيِّمة.

أحد الشباب كان بيتناقش بيقول إنّ كَثُرت الشبهات على أهل الإسلام، تيجي إنت تلاقي النهارده شباب بيلتقي في النت أو في وسائل التواصل أو مع أصحابه حتى بكلام فيه شبهات على الدين، شبهات على الله، شبهات على كلام الله، شبهات على النبي –صلّى الله عليه وسلم–، شبهات على الصحابة، شبهات على الشرائع وفروع الدين على كل المستويات.

جسد الدين أو الدين نور، ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا" الشورى:52، وجسد الدين إذا طُعن يُخرج نور، يعني إنت ماعندكش حاجة تستخبى منها، طيب يا جماعة اللي عنده شبهة يعمل إيه؟ النبي –عليه الصلاة والسلام– قال "فإنَّما شِفاءُ العِيِّ السُّؤَالُ" صححه الألباني؛ لأن الشبهة تؤدي إلى مرض في القلب.

خطورة مرض القلب

مرض القلب ده يا جماعة مشكلة، ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا" البقرة:10، إيه المرض ده؟ شك، طيب المرض ده له علاج؟ آه إنه يسأل، طيب هو مابيسألش، إذًا المرض هيزيد، هينتج عنه إيه إنّ المرض يزيد؟ إنه ما عادش قادر يتحرك، الإنسان لما بيُصاب بمرض بيعمل إيه؟ ما بيعرفش يتحرك، بيتعب، بيضعف، ما بيشوفش الحاجة صح، كذلك مرض القلب، الإنسان إذا عنده مرض في القلب بيبقى عنده ايه؟ تعب، ألم، مش قادر في الطاعة، يشوف البعيد قريب والقريب بعيد، ما بيشوفش خالص.

هتلاقي الإنسان لو عنده مرض لو فيه حد ييجي يلمسه يقول لك آه من بعيد خالص قبل ما يقرَّب، اوعى بتوجعني جدًّا، ففيه ناس كده لما تيجي تتكلم تتكلم من بعيد خالص يقول لك: إنت هتتكلم في الدين؟ هو من بعيد خالص مش عايز يسمع دين أصلًا، يقول لك: لا لا لا إنتِ هتقول لي قال الله وقال الرسول؟ لأ يا عم مليش دعوة بالكلام ده، من قبل ما تتكلم أصلًا، هو مجرد شكلك كده مضايقه، فاللهم سلِّم قلوبنا من المرض.

تأويل الرؤيا

قال الله –سبحانه وتعالى– عن يوسف –عليه السلام–: "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا" يوسف:41، قال لهم: أنا هقول لكم بقى تأويل الرؤيا بعد ما إدَّاهم بيان قوي عن الله –سبحانه وتعالى– إنه دعاهم إلى الله، وبعد ما دعاهم إلى الله عمل إيه؟ أوَّل لهم الرؤيا.

قال لهم: الأولاني هيعصر الخمر، وبعد كده هيروح يشتغل عند الملك يقدِّم له خمر، فالأول ده هيكون خدام هيشتغل ساقي للملك، فقال "أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا".

والتاني، التاني ده رايح رايح أصلًا، التاني ده هيموت ويتقتل ويتصلب، والطير هتمر عليه تأكل من رأسه، قال: "وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ".

واحد قال له: إنت هتموت، والتاني قال له: إنت هتشتغل ساقي للملك.

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله

مرت الأيام على يوسف –عليه السلام– في السجن وهو من المحسنين، بيصلي وبيخدم الناس، ثم جاء الإفراج، لمين؟ للي هيموت ولا التاني؟ للتاني، واحد خد حكم إعدام والتاني خارج إفراج، فجاء الإفراج لهذا الذي قال له يوسف – عليه السلام– أنه سيسقي ربه خمرا.

وهو خارج بيودَّع يوسف –عليه السلام–، دايمًا بين السجناء بتلاقي فيه عِشرة طيبة، ناس قاعدة مع بعض ليل نهار، صباحًا ومساءً، فيوسف –عليه السلام– قال: "وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ" يوسف:42، قال له: لما تروَّح وتشتغل عند الملك ابقى فكِّره إنّ أنا داخل حتى حين، أنا مش عارف أنا هخرج إمتى، فقال له: اذكرني لعل الموضوع يخلص.

هل هذا ينافي التوكل على الله؟ إنّ سيدنا يعقوب قال: "وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" يوسف:67، هو ده عدم توكل على الله؟ هو سيد المتوكلين يعقوب –عليه السلام–، بل ذكره الله –سبحانه وتعالى– في معرض المدح؛ حتى نتعلم منه، يعني لما عرض الله قصة سيدنا يعقوب عرضها عرض إنّ ده عبرة لنا؛ حتى نأتسي بها، وكذلك يوسف –عليه السلام–، ربنا أثنى على يوسف –عليه السلام– بأنه من المخلَصين، وأنه من المحسنين.

لا يؤخرك البلاء عن الدعوة إلى الله

ثم عقَّب الله –سبحانه وتعالى–على قصة دعوة يوسف –عليه السلام– في السجن، إنّ واحد دخل السجن لكن هو دماغه أصلًا تبحث عن رضا الله، يعني لما دخل السجن ما قالش أنا مالي بالناس دي أنا راجل مقهور ومظلوم ومليش دعوة بحد، دخل السجن وهو يدعو إلى الله، واستغل لقاء عابر بين رجلين سجينين في أن يعلمهم عن الله.

كذلك أصحاب الدين أو شباب المسلمين أصحاب همة، واحد عنده عزيمة، واحد عنده إرادة، واحد يحمل رسالة، حامل هَم، إنّ هو لما بيشوف أي موقف ينفع فيه يتكلم عن ربنا لا يتوانى.

إنّ موقف واحد بيقول له إديني تأويل رؤيا أنا شُفت كذا، يا عم الشيخ أنا شُفت رؤيا أعمل إيه؟ وده دلالة إنّ العالم أو الداعي إلى الله أنه إذا جاء أحد يطلب منه حاجة أن يعرف الأنفع له أولًا فيقوله ثم يقضي حاجته، سيدنا يوسف قبل ما يقول لهم على تأويل الرؤيا أو تفسير الحلم عمل إيه؟ دعاهم إلى الله ثم قضى حاجتهم.

"وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ"، قال له: ابقى افتكرني عند سيدك، واستعمل يوسف –عليه السلام– لفظ ربك مع أنه يؤمن أنه لا رب الله –سبحانه وتعالى–، لكن كان هذا دارجًا عندهم، كان همَّ بيفهموا ده.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" يوسف:42، العلماء اختلفوا بقى "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ" مين اللي نسي؟ اللي ناجي على قولهم، اللي قال إنّ يوسف –عليه السلام– هو الذي نسي ذلك قال بما بعده، يعني استدل على ذلك بقول الله –عز وجل–: "فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"، واللي استدل على أن الرجل الذي نجا هو الذي نسي أنه قال بعد ذلك: "وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ" يوسف:45، يعني هو نسي، وبعد ما نسي افتكره بعد ذلك.

طيب تعالوا نفكّر كده، شيخ الإسلام قال أن يوسف –عليه السلام– لم ينسيه الشيطان ذكر ربه –سبحانه وتعالى–؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– أثنى على يوسف بالذكر أصلًا، يعني أصلًا الآيات كلها فيها قصة كيف أن يوسف –عليه السلام– لم يُنسيه الظلم، ولم تنسيه بلاءات الحياة أن يدعو إلى الله، وأنه تحت أي ضغط وتحت أي بلاء ينبغي للإنسان أن يتذكر نعمة الله –سبحانه وتعالى– وأن يعمل جاهدًا في ذكر الله –سبحانه وتعالى–.

أحيانًا نلاقي واحد –كلنا ذلك الرجل– إنّ هو لما يُصاب بأي بلاء يتأخر عن الدعوة إلى الله، يتأخر عن تعليم الناس دين الله، يتأخر عن تنفيذ مراد الله، وبعد كده بيتعلل عادي جدًّا، إنت ممكن تتعلل أو تقول علة لأي حد، تعرف تجيب مبررات ولا ما تعرفش؟، تعرف تجيب مبررات كتير.

يوسف –عليه السلام– ربنا ذكر قصته أنه تحت أي ضغط وفي أي ظروف هو يعمل في الدعوة إلى الله، أيًّا كان البلاء، أيًّا كانت المشكلة، أيًّا كان نوع الظلم، ومع ذلك هو يتذكر الله –سبحانه وتعالى–.

فيقول طيب إزاي الله –سبحانه وتعالى– يثني عليه بذلك ثم يعود الضمير على ذلك في "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ"؟! نقول: لأ هو ما نساش ذكر ربه، ده هو الآية اللي قبلها على طول كان بيذكّرهم بالله بيقول لهم: "ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا".

ابتلاءٌ للتمكين

"فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"

بضع سنين يعني كام سنة؟ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، بضع وسبعون شعبة يعني إيه؟ من 3 إلى 7 أومن 3 إلى 9 على قولين يعني، إنّ سيدنا يوسف ما قعدش في السجن شهر ولا شهرين، ده قعد إيه؟ بضع سنين، 5 سنين، 6 سنين، 7 سنين، 8 سنين، 3 سنين، الله أعلم، سيدنا يوسف قعد بضع سنين في السجن وهو نبي وهو يُجَهَّز لِأن أن يكون حاكم وملك، وهو يُجَهَّز لأن يُمَكَّن في الأرض.

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على عباده الذين اصطفى أما بعد؛

يوسف –عليه السلام– ذكر الله قصته للنبي –صلّى الله عليه وسلم–؛ ليتعلم النبي –صلّى الله عليه وسلم– من هذه القصة كيف أن الله –سبحانه وتعالى– يربي أنبياءه، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– يُعِدّ أنبياءه، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– يُمَكِّن لأهل دينه، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– يصنع أهل التقوى ويصنع أهل الصلاح.

يوسف –عليه السلام– كان من تمام صناعته أن يمكث هذه الفترة في السجن، وهذا البلاء الذي نزل بيوسف –عليه السلام– أنه مكث في السجن مظلومًا، أحيانًا كتير لما واحد يُبتلى ببلاء ما يبقاش شايف الخير فين، سعى يوسف –عليه السلام– للخروج غير أن إرادة الله –سبحانه وتعالى– غالبة، الله –سبحانه وتعالى– أراد من هذا البلاء شيء من يوسف –عليه السلام–، قال الله –سبحانه وتعالى–: "فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ".

قال له: ابقى اذكرني، ابقى افتكرني، هو الراجل شاف مع سيدنا يوسف أيام صعبة ولا أيام سهلة؟ صعبة، طيب والموقف اللي حصل معاه مع سيدنا يوسف كان موقف في حياة الرجل ده مؤثر ولا مش مؤثر؟ مؤثر جدًّا، الراجل شاف رؤيا بعدها استبشر، والراجل التاني صاحبه مات، طيب هو ممكن يكون واحد يحصل له مواقف في حياته مؤثرة في أيام لا تُنسى ثم ينساها؟! وده دليل على أن الله –سبحانه وتعالى– إرادته غالبة.

الله غالبٌ على أمره .. فأحسِن الظن به

إنّ إنت لما يحصل لك أي مشكلة مش عارف تحلها الجأ إلى الله، اسجد، ادعِ، استغفر، سيدنا يونس –عليه السلام– لما نزل في بطن الحوت لم يفكر كثيرًا، إنما نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، علم أنها من الله، وأنه لن يُخرجه إلا الله –سبحانه وتعالى–، يعني الموضوع ما هوَّاش بهذه الصعوبة ما قعدش يفكر أصل يمكن كذا.

إحنا أحيانًا كتير لما بينزل بينا بلاءات بنقعد خمس سنين عقبال ما نفتكر إنّ هي من عند ربنا، وممكن البلاء يعدي ويخلص ويجي بلاء تاني ويعدي ويخلص ومشكلة تانية وتعدي وتخلص ويقول لك: ياه تصدَّق إنّ ربنا كان بيبعدني عن القرش الحرام علشان كده اتخصم من مرتبي فلوس، تصدَّق إنّ أنا ممكن ربنا –سبحانه وتعالى– كان أراد إنّ أنا يبعدني عن الحرام فبعَّد عني فلان وفلان اللي كانوا بيعملوا معاصي كذا وكذا، عقبال ما يفهم يفضل فترة طويلة قوي إنه يصدَّق إنّ ربنا –سبحانه وتعالى– بيبعدني عن الحرام، إنّ البنت الفلانية اللي أنا كنت هتزوجها حيل بيني وبين زواجها وكان ده خير ليَّ وليها، الإنسان أحيانًا كتير لما بينزل بيه إشكال في حياته قَدَري بيَتَّهم الله –سبحانه وتعالى–.

يوسف –عليه السلام– ظل على حسن ظنه بربه ويعلم أن الله –سبحانه وتعالى– غالبٌ على أمره، هو أخذ بالأسباب، غير أن الله –سبحانه وتعالى– إرادته غالبة إنّ يوسف –عليه السلام– لن يخرج إلا بطريقةٍ معينة.

لو كنا نتخيل إنّ الراجل لما أول ما خرج راح للملك قال له: ده فيه واحد بيأوّل الأحلام حلو قوي، بيعبّر الرؤيا كويس قوي، وإحنا عايزين نشغّله عندنا، وداخل في السجن مظلوم، وهم قالوا: حتى حين، وحتى الآن ماحناش عارفين، والموضوع خلص والستات ما عادوش بيتكلموا، والنسوة في المدينة ما عادوش بيتكلموا على إنّ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، والموضوع نام ومات فنخرَّجه بقى، لم يكن ليوسف –عليه السلام– أن يُمكَّن في هذه الأرض اللي هي أرض مصر وأن يكون بعد ذلك حاكم.

رؤيا الملك

إنما أراد الله –سبحانه وتعالى– أن يخرج يوسف على هيئةٍ معينة، إيه الهيئة دي بقى؟ انظروا لتقدير الله كيف رتب الله –سبحانه وتعالى– أمر يوسف..

العزيز اللي كان يوسف شغال عبد عنده ده كان بمثابة وزير، الملك نفسه اللي هو الكبير اللي همَّ بيعبدوه ده، اللي هو بيحكم لهم وبيشرِّع لهم، الملك شاف رؤيا "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّيَ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ"

يوسف:43، قال أنا شايف رؤيا ماشي في أرض فجأة لقيت سبع بقرات سمينة شديدة، وعلى الناحية الأخرى سبع بقرات عِجاف، يعني ايه عجاف؟ هزيلة، وفجأة السبعة الهزيلة انقضت على السبع السمينة أكلوها.

طبعًا حاشية الملك دايمًا بتصفّق، ده أحسن كلام في الدنيا وإيه الكلام العظيم ده، يعني دايمًا هذا بلاء أهل السلطة، بل وبلاء الصالحين، قال النبي –صلّى الله عليه وسلم– "ما بعثَ اللهُ من نَبِيٍّ، ولا استخلَفَ مِنْ خليفَةٍ إلَّا كانتْ لَهُ بطانتانِ: بطانةٌ تأمرُهُ بالمعروفِ، وتحضُّهُ عليْهِ، وبطانَةٌ تأمرُهُ بالشَّرِّ، وتحضُّهُ، فالمعصومُ مَنْ عصمَهُ اللهُ" صححه الألباني، إنّ الإنسان ينبغي إنّ هو يحرص على بطانته، إنه يصاحب مين، يصاحب ناس أهل صلاح، ليه؟ علشان ينصحك، عشان ما يتكسفش إنه ينصحك، لكن لما تصاحب واحد إنت صاحب نعمة عليه مش هيعرف ينصحك، مش هيعرف يأمرك وينهاك.

"وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ" يوسف:43، قال لهم: قولوا لي الحلم ده.

"وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ" قيل على قولين:

إنّ سبع سنبلات هو شاف في نفس الأرض دي سبع سنبلات قمح خُضر، وسبع سنبلات يابسة، وقيل أنه سبع سنبلات يابسات يأكلن سبع سنبلات خُضر.

رؤيا غريبة قوي، واحد شاف بقر بيأكل بعضه، وإنّ البقر الهزيل هو اللي بيأكل البقر السمين مع إنّ العكس هو الطبيعي، الطبيعي أصلًا إنّ البقر ما بياكلش بعض، وشاف الزرع بياكل بعضه، فقال لهم: يا جماعة محدش يفهم في الرؤيا؟ قولوا لي الرؤيا دي معناها إيه؟

رأي حاشية الملك في الرؤيا

طبعًا همَّ ارتكبوا حماقات، هو فيه فرق يا جماعة بين الرؤيا والحلم؟ الرؤيا صالحة، دي بتبقى دايمًا إما مبشرات وإما موجّهات، يعني حاجة الله –سبحانه وتعالى– يُريها العبد؛ علشان يوجهه فيها، أو مبشرات، وفي حق الأنبياء وحي، وفيه حلم، الحلم ده جاي من النفس أو من الشيطان، إنّ واحد شاف حلم.

فرقم واحد همَّ قالوا له إيه؟ اتنططوا عليه، أفتوا بغير علم ثم تكبروا في ذلك، "قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ" يوسف:44، قالوا يا عم هي دي رؤيا أصلًا ده حديث نفس، ده حلم، وحلم مخلَّط كده، إنت شكلك كنت متضايق شوية وواكل أكلة تقيلة فالموضوع ملهوش لازمة قوي يعني، وإحنا نَفسنا بنعبّر الرؤيا لكن الأحلام دي بتاعة الشياطين "وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ

الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ" يوسف:44، الحاجات دي محدش بيعرف فيها أصلًا، ده حلم أصلًا، لوكان رؤيا كنا إيه؟ كنا جبناهالك، لكن ده أي كلام.

هل يجوز الاستعانة بالكافر؟

هنا ذكَّر الله –سبحانه وتعالى– ساقي الخمر بيوسف –عليه السلام–، هو يا جماعة يجوز إنّ أنا أستعين بواحد كافر؟ هي دي كانت حرب؟ ما كنتش حرب ولا حاجة، ينفع أستعين بواحد كافر؟ ينفع على قَدر.

يوسف –عليه السلام– طلب شفاعة كافر في كافر، صح كده؟ يعني صاحبه كان كافر والتاني كان إيه؟ كان أكفر، كان بيُعبَد وراضي بده، طاغوت يعني، ومع ذلك يوسف –عليه السلام– استعان به؛ ليخرج، لرفع الظلم عن نفسه.

تربية الله –عزَّ وجل– لأنبيائه

"وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ" يوسف:45، يعني افتكر بعد سنين يااه أنا الموقف ده عشته من سنين، كنت في السجن وكان معايا واحد وكان قال لنا على تأويل الرؤيتين والرؤيتين اتحققوا.

انظروا كيف أن الله –سبحانه وتعالى– أراد بيوسف –عليه السلام– خيرًا، وكيف دبر الله –سبحانه وتعالى– خروج يوسف بأمر أبسط مما يتخيله عقل إنسان، سيدنا يوسف خرج إزاي؟ حلم، رؤيا، يعني مفيش بقى فلوس جت، رؤيا، الراجل نايم شاف رؤيا، طلع سيدنا يوسف، وبقى سيدنا يوسف مُمكَّن في الأرض.

الله –سبحانه وتعالى– كان يقدر على ذلك ولا زال يقدر على ذلك في كل وقت، ولنا أن نتساءل لماذا لم يرى الرجل الرؤيا منذ زمن منذ أن كان يوسف في قصر العزيز؟ لأن إرادة الله غالبة، لأن الله –سبحانه وتعالى– أراد أن يُربِّي يوسف على معاني معينة لن تدخل في قلبه إلا بإحساسه بالظلم.

ربنا –سبحانه وتعالى– قال عن موسى –عليه السلام–: "وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" طه:41، وفي حديث الفتون الطويل – اللي إن شاء الله هنشرحه– كيف أن الله قصَّ قصة موسى –عليه السلام– من أول ما كان طفلًا رضيعًا، "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ" القصص:7، ومع ذلك في أثناء صناعة موسى –عليه السلام– ليكون مُكلَّم قتل نفسًا.

هو ينفع واحد علشان يُصنَع نبي يقتل؟ كانت هذه من تمام الصناعة أن الله –سبحانه وتعالى– أراد أن يعيش موسى – عليه السلام– هذا الإحساس؛ حتى يتعلم عن الله، وحتى يعلم كيف يُرضي الله –سبحانه وتعالى–، كيف يتَّبع أوامر الله –سبحانه وتعالى– بعد ذلك إذا شعر هذا الإحساس مع الآخرين.

طلب تأويل الرؤيا من يوسف –عليه السلام–

سيدنا يوسف –عليه السلام– ربنا نجاه وأذن الله –سبحانه وتعالى– في تحقيق رؤيا يوسف –عليه السلام–، إنّ الملك شاف رؤيا الراجل راح عمل إيه؟ "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ" قال له: دخّلني السجن تاني، بس المرة دي مش هدخل السجن معاقَب، أنا هدخل السجن سائل، فيه واحد في السجن مسجون على ذمة قضية هو مش عارفها ولا عارف هيقعد فيها قَدّ ايه، هو محطوط كده وخلاص حتى حين، لحد ما يبقى الباشا يتكرم ويتغير رأيه، وامرأة العزيز ترضى، والعزيز يرضى ويخرّجوه.

الملك ما كانش عارف إيه اللي حصل ليوسف ولا يعرف أصلًا مين يوسف –عليه السلام–، وده دليل على إنّ الملوك لا يُعبَدون، الله –سبحانه وتعالى– هو الملك الوحيد الذي يعلم كل شيء، الذي يعلم كل الخواطر، أما الدنيا فملوكها ضعفاء لا يقدرون على شيء.

"يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا" يوسف:46، قال له: يا الصِّدِّيق يوسف أفتيني، طبعًا الراجل ساقي الخمر ده ممكن هياخد منزلة، هيترقّى، هياخد فلوس، انظروا إلى فعل الخير، سيدنا يوسف كان ممكن يقول، لو إنت مكانه هتعمل إيه؟ بالله عليك لو إنت مكانه هتعمل إيه؟ هتقول له إيه؟

1. لسه فاكر!
2. خرّجوني الأول.
3. مش قايل لك إنت هتعمل سَبُّوبة عليَّ؟ خدني عند الملك أنا اللي هقول له، لكن أنا هقول لك هنا ليه؟! أقول لك علشان إنت تطلع تقول وتاخد إنت الخير أو المصلحة وأنا ما آخدهاش.

أيوة تفكير ممكن ييجي في دماغك، لكنه يوسف الصديق، "أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا" تعالَ ده أنا مستنيك، ده إحنا شُفنا عندنا مسألة عظيمة جدًّا.

تأويل رؤيا الملك

"أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ" قال له: قُل لي أعمل إيه في دي؟

عندنا دايمًا يقولوا فيه خير اسمه خير لله، وفيه خير اسمه مقيَّد بمصلحة، يقول له: أنا هعملهالك بس في الآخر هاخد إيه؟ هاخد مصلحة، يعني لازم بردو أنا أطلع بحاجة.

هو لم يشترط عليه إنما هو بذل الخير لله، وانظروا أن بذل الخير للناس وأن حب الخير للناس ينجي الإنسان، يعني لولا أن يوسف –عليه السلام– تعامل بهذه الأخلاق لَمَا استكملت حلقات هذه القصة مع يوسف –عليه السلام–.

قال الله –سبحانه وتعالى– عن يوسف: "قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا" يوسف:47، قال له سبع بقرات سمان يعني سبع سنين فيهم زرع، والدأب يعني إيه؟ متواصل.

"فَمَا حَصَدتُّمْ" قال له: لما تحصدوا الزرع ما تاكلوهوش كله، إنما عِينوه، خزِّنوه؛ لإن هييجي بعد كده سبع سنين عجاف، سبع سنين قحط وجدب، قال: "فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ".

يعني طلعت رؤيا ولا حلم؟ طلعت رؤيا، أومَّال همَّ كانوا بيقولوا حلم ليه؟ وبعد كده بعد ما قالوا حلم قالوا ايه؟ قالوا: ده حلم وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، إحنا ما بنتكلمش في الأحلام، إحنا بنتكلم في الرؤى بس على أحد القولين لأهل التفسير.

"ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ" يوسف:48، قال: بعد السبع سنين دول عِينوا لسبع سنين تانيين.

يا جماعة همَّ الكفار بيشوفوا رؤى؟ آه طبعًا ما الرجل شاف رؤيا واتحققت أهي، رؤيا الكفار بتتحقق؟ آه؟

"ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" يوسف:49

هنا بقى نقطة "فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" هو عرف منين دي؟ دي ما جاتش في الرؤيا، دي فراسة يوسف –عليه السلام–، وحكمة يوسف –عليه السلام– التي علمه الله إياها.

الرؤيا كان فيها سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف، سبع سنبلات خضر وسبع يابسات، لكن كان فيها سنة فيها يغاث الناس وفيها يعصرون؟ لأ، أومَّال سيدنا يوسف عرف منين؟ بفراسته، ما هو لما هنا يذكر سبع سنين قحط وجدب يبقى أكيد ما دام ذكر سبعة يبقى أكيد في السنة التامنة هيحصل تغيير، لذلك قال: "ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ" يغاث الناس بالمطر، وفيه يعصرون يعني يعصرون الفواكه أو يعصرون العنب.

عظمة خُلُق الإحسان عند يوسف –عليه السلام–

سيدنا يوسف قال الرؤيا للرجل، الرجل عمل إيه؟ متشكر جدًّا ومشي، ما اتكلمش يعني يقول له: طيب تعالَ اخرج معايا، ما اتكلمش أصلًا، إنما أخذ الرجل ما يريد وأوَّل رؤياه، وأخذ ينتفع بها ويزيد من مصلحته أو منقبته أو

من منصبه عند الملك.

ولم يذكر الله –سبحانه وتعالى– أن يوسف –عليه السلام– ذكر له أن يأتي إلى الملك، ولم يشترط يوسف –عليه السلام– أن يخرج في مقابل تعبير الرؤيا؛ لأنه من المحسنين، ولأن رسالته رسالةٌ من عند الله –سبحانه وتعالى–، أخلاق عجيبة، يعني لما تتفرس في أخلاق الأنبياء مش ممكن تتخيل إنّ أُناس بمثل هذه الأخلاق ثم أنت لا تؤمن بهم!

علشان كده يقولوا: كيف أسلم الصدِّيق؟ أبو بكر أسلم إزاي؟ هو عارف النبي –عليه الصلاة والسلام–، قال الكلام ده، قال يبقى آه أكيد صادق؛ لأنه رأى من الأخلاق ما لا صبر له عليه، إنه دينٌ وأخلاق.

إنّ لما تيجي تبذل للناس الناس بتستغرب أكيد عايز حاجة، تيجي تدِّي لحد هدية أكيد إنت وراك حاجة، أكيد هو بيستغلني عايز مني حاجة، الناس لم تَعُد تتعود الخير، لم تَعُد تتعود حب الخير، وحب البذل للناس أصبح مُستهجَن، أصبح عجيب.

يوسف –عليه السلام– أفتى هذا الرجل وأوَّل رؤياه من قبل أن يشترط على الرجل، ولم يشترط على الرجل شيء.

طلب يوسف –عليه السلام– تبرئته من تهمة امرأة العزيز

ولما ذهب الرجل ذكر يوسف –عليه السلام– للملك، "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ" يوسف:50، الملك قال: هات يوسف، يوسف –عليه السلام– رفض أن يذهب إلى الملك، وتتعجب.

النبي –صلّى الله عليه وسلم– قال: لوكنت مكان أخي يوسف لأجبتُ الداعي، كنت هروح.

يوسف –عليه السلام– قال له: لأ ارجع، الأول برِّئني من قضيتي، الأول شوف القضية اللي أنا دخلت فيها، الأول اعقدوا محاكمة أعيدوا محاكمتي مرةً أخرى.

لماذا طلب يوسف إعادة محاكمته؟

لماذا طلب يوسف –عليه السلام– إعادة محاكمته؟ بعض أهل التفسير قال: لأنه يعلم أنه سيكون صاحب منصب وكما يعلم ذلك من ربه، ولا ينبغي لصاحب المنصب أن يكون ملوَّثًا في سمعته.

وقبل ذلك لأنه صاحب دعوة، والدعاة ينبغي أن يحافظون على سمعتهم، حافظ على سمعتك، ماينفعش يبقى واحد بيشتغل في الدعوة إلى الله وبعد كده يقولوا ده كان ممسوك مع واحدة، ما ينفعش واحد يكون بيشتغل في الدعوة إلى الله ومع ذلك يقولوا: ده عليه فلوس وواخد فلوس من فلان وعِلَّان، إنه ينبغي إنّ هو يحافظ على سمعته.

يوسف –عليه السلام– قال له: "ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ"، قال له: أنا دخلت في قصة نسوة، الأول برّئني أمام الجميع وليعلم العزيز أني لم أخنه، وليعلم الملأ أنني بريء.

نفس النسوة هم الذين برَّأوا يوسف –عليه السلام–

"قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ"

الرجل الملك جابهم "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ"، أعاد فتح القضية مرةً أخرى، واستدعى الشهود وجاء بالنسوة في المدينة، اللي همَّ نسوة الملأ، اللي همَّ دول دايمًا بيبقوا متحكمين شويتين تلاتة، "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ".

الله –سبحانه وتعالى– أراد أن يبرئ يوسف –عليه السلام– فأنطق الحق على لسان هؤلاء، هم هم الذين أدخلوا أو كانوا سبب في دخول يوسف السجن، هم هم الذين كانوا سبب في نجاة يوسف –عليه السلام–.

"قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"، كيد النساء فجأة سقط أمام قوة الله –سبحانه وتعالى– وإرادة الله –سبحانه وتعالى–، وبرَّأ النساء يوسف –عليه السلام–، وقالت المرأة: إنه لمن الصادقين.

الفساد الشديد في ذلك المجتمع

وسهولة الكلام يعرّفك إنّ المجتمع ده كان فيه فحش قَدّ إيه، أعتذر يعني، لكن غريبة قوي إنّ الست بكل بساطة الراجل زوجها يراها عند الباب "وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ" يوسف:25، ويقول لها إيه؟ استغفري لذنبك، وخلاص أعِرض عن هذا والموضوع يتلم وخلاص، وبعد كده يعرف إنه بريء، وبعد كده يدخّله السجن بردو علشان ما ينفعش إنّ الكلام يتقال كده، وبعد كده لما يحصل القضية تتفتح تاني بكل بساطة هو صادق وإحنا كنا غلطانين، بجد؟! عادي ببساطة خالص وتم الأمر! يعني لم يُعقَد لها محاكمة، لم تحاسَب المرأة، لم يُسجَّل عليها هذا الأمر، لم تكن مَسبَّة في عُرف هؤلاء أن المرأة تقول بكل هذه البساطة أو نساء الملأ يقولوا بكل هذه البساطة إنه رجل بريء ورجل صالح، إنما برَّأ الله يوسف –عليه السلام– واعترف هؤلاء أن يوسف من الصادقين.

الخيانة من أَخَسّ الأخلاق

"ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" يوسف:52

وهنا وقفة أن الله لا يهدي كيد الخائنين، إنّ الخائن يا جماعة مهما كان الله –سبحانه وتعالى– لا يهديه فإنه سيضل ولو بعد حين، فإياكم والخيانة، إياكم والغدر، إنّ الخيانة من أخَسّ طباع بني آدم، إنّ الإنسان يكون إنسان خائن، الأمانة من أعظم أخلاق الإسلام، والخيانة من أَخَسّ طباع بني آدم.

إنّ المؤمن المفروض إنّ هو أمين على الأسرار، أمين على الأموال، أمين على الأعراض، إحنا قاعدين تلاتة مع بعض وأول ما واحد فيهم يمشي ده فلان ده عمل كذا وكذا ما تعرفش، ده قال لي كذا وكذا وكذا، يا جدع إنت ده كان لسه قاعد معاك!

تلاقي قاعدين مجموعة أصحاب مع بعضهم البعض ثم لما تمر امرأة زوجة أحدهم أو جارة لهم تلاقيهم يبدأوا إيه؟ دي فلانة دي عملت وسَوّت وعملت كذا، دي كلمت فلان، دي عملت مع علان وما إلى ذلك، خيانة، غدر.

إنّ واحد يأتمن واحد على فلوس، معظم اللي بيستلف فلوس ولا أقول الكل يعني لكن معظم اللي بيستلف فلوس بيستلف فلوس وهو ناوي مش هيسددها أو مش عارف هيسددها إزاي، يقول هات بس 5000 جنيه وأنا هجيبهوملك، هات بس 10000 جنيه وهجيبهوملك على طول، إمتى؟ آخر الشهر، وهو عارف أصلًا إنّ هو قُدَّامه على الأقل عشر سنين عقبال ما يقدر، قول له: مش معايا دلوقتي أنا أصلًا باخدهم لحين ميسرة، لما يوسع الله عليَّ هعطيك، لكن هو بس أهم حاجة إنّ هو ياخد، يقول له: هاخد الكتاب، الناس اللي بتاخد الكتب، هاخد الكتاب وأجيبهولك المرة الجاية، هه وخلاص بقى انسى.

الدِّين أمانة في عنق كل مسلم

الأمانات، الله –سبحانه وتعالى– لما عبَّر عن الدين قال: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ" الأحزاب:72، إنّ الدين دين أمانة، إنّ رسالة الإسلام أمانة، أمانة في عنقك، الإنسان سيُسأل يوم القيامة عن رسالة الإسلام، عن النبي –صلّى الله عليه وسلم–، عن كلام النبي –صلّى الله عليه وسلم–.

قالت: "ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ*وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" يوسف 53:52.

الخاتمة

انتهت هذه الجولة من تربية الله –سبحانه وتعالى– ليوسف –عليه السلام– وهو في السجن، ليدخل يوسف –عليه السلام– في جولةٍ جديدة من تربية الله –سبحانه وتعالى– له حتى يُمكِّن يوسف –عليه السلام– في هذه الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وتتحقق رؤياه أن يسجد له إخوته وأباه يعقوب –عليه السلام–.

يتعلم النبي –صلّى الله عليه وسلم– من قصة يوسف –عليه السلام– أن الله –سبحانه وتعالى– غالبٌ على أمره، وأن التمكين في الأرض يحتاج إلى مراحل، وأن صناعة الرجال تحتاج إلى بلاءات، وأن معادن الرجال لا تظهر إلا في الفتن والمحن، وأن الله –سبحانه وتعالى– ليس معنى أنه ابتلى مجموعة من الصالحين ببلاء شديد أنه لا يحبهم، غير أن الله يُعِدّهم لِمَا هو أصلح لهم في دينهم ودنياهم.

نكمل المرة القادمة إن شاء الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36